جامعة دمنهور
كلية الآداب
قسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية .

ملخص ١٠٠٠ كلمة عربى

الحياة فى أنطاكية من خلال الفسيفساء
فيما بين القرنين الثانى ق.م وحتى القرن السادس م (دراسة تحليلية)

رسالة مقدمة من الباحثة / ريفت كمال شاكر يوسف

لنيل درجة الماجستير فى الآداب تخصص الآثار اليونانية
والرومانية بنظام الساعات المعتمدة
٢٠١٦

تحت إشراف :
د/ عبير عبد المحسن قاسم .
أستاذ مساعد والقائم بأعمال رئيس قسم الآثار والدراسات اليونانية
والرومانية
كلية الآداب - جامعة دمنهور

يتناول البحث الحياة فى أنطاكية من خلال فن الفسيفساء. فيغطى الفترة الزمنية التى بدأت من القرن الثانى ق.م مع بعض الأمثلة البسيطة التي ترجع الى العصر اليونانى ، هذا بالإضافة إلى الأمثلة التي انتشرت في العصر الرومانى وحتي المتأخر . وقد تم التركيز علي سورية عامة وأنطاكية بصفة خاصة . فبالرغم من وفرة لوحات الفسيفساء فى سورية وخاصة فى العصر الرومانى إلا إنه لا توجد دراسة متكاملة وشاملة . إذ اقتصرت الدراسات السابقة على تقارير الحفائر وبعض المجلات الأثرية التى كانت تهتم من فترة إلى أخرى ببعض لوحات مميزة بسورية .

وقد تم اختيار موضوع البحث لما له من أهمية كبرى ، حيث يتناول فن الفسيفساء الذى ظهر فى أنطاكية فى ذلك الوقت ،حيثتعد الفسيفساء مرآة الفنون فى عصرها . فتنوع الموضوعات المصورة عليها جعلها سجل وافى بكل ما يحمله ذلك العصر من سمات حضارية ومعتقدات دينية وأسطورية . وكذلك إلقاء الضوء على أهم اللوحات الفسيفسائية ذات القيمة الفنية والتى تعرض اليوم فى المتاحف السورية فى إطار الإهتمام بفن الفسيفساء الذىيمدنا بنظرة أكثر شمولآ عن تلك الحقبة الزمنية .

فالموضوع يعطى فكرة عن الموضوعات الأسطوريةو موضوعات الحياة العامة كما يقدم لمحات عن الفن المسيحى تلك الموضوعات التى صورت على لوحات الفسيفساء .

تعتبرمدينة أنطاكيةΑντιόχειإحدى أهم المدن التاريخية ، وتقع شمال غرب سورية .وترجع فكرة إنشاء مدينة أنطاكية إلى الإسكندر الأكبر حيث إنهبعد إنتصاره فى معركة إسوس عام ٣٣٣ق.م تقدم زاحفآإلى فينيقيا ، وفى إثناء الطريق توقف عند مكان شرقى الموقع الذى قامت عليه أنطاكية بعد ذلك . وبعد وفاة الإسكندر الأكبر عام ٣٢٣ق.م آلت سوريا إلى سلوقس ، وقد أنشأ الملك سلوقس مدينة أنطاكية فيما بعد . وكانت أنطاكية في العصر الهلينستىعاصمة الإمبراطورية السلوقية.وقد بنيت أنطاكية على النظام الهيبودامى ذو التخطيط الشبكى. وفي العصر الروماني كانت من أكبر المدن فى الجزء الشمالى الغربى من سورية ، ومركزآ تجاريآ مهمآ ، لذا ظلت أنطاكية عاصمة الولاية الرومانية الجديدة.

أما بالنسبة إلي الفسيفساء في العصرين اليوناني و الروماني فيعتبر أول طريقة لتزين الأرضيات فى نهاية القرن الثانى ق. م.أما فى العصر الرومانى فقد شاع استخدام الفسيفساء حيث كست اللوحات الفسيفسائية معظم الحوائطوأقواس النصر و تزين الجدران فى المنازل الخاصة والمبانى العامة ، كما شيع استخدامها فى الحمامات . وتؤكد الأمثلة العديدة التي عثر عليها في كافة أنحاء سوريةفكانت مركزآ مهمآ لهذا الفن الذى انتشر في البلاد السورية الرومانية .فهو بإختصار حجر ناطق يروى حكايات الماضى العتيق حكايات صاغتها أيدى الصناع المهرة على الجدران والقباب والأرضيات فروت ماضيهم وكيف أن إبداعهم تجاوز حدوده وأنطق الحجر ، فجعل المعابد والقصور والحانات والحمامات معرضآ لتلك الإبداعات .

وتدلنا الأرضيات المغطاة بالفسيفساء فى أنطاكية عن التاريخ الفنى للمدينة منذ القرن الأول م، وحتى القرن السادس م .وتكمن أهمية هذه الأرضيات ليس فقط فى تتبع التاريخ الفنى للمدينة بل أيضا فى أنها تمدنا بفكرة واضحة عن الحياة الفكرية ، والحياة اليونانية لأهالى أنطاكية . وكانت

مدرسة أنطاكية هى الأكثر نضجآ من حيث الناحية الفنية والموضوعية ، واستمر تأثير مدرسة أنطاكية خلال العصر الرومانى المتأخر والمعروف باسم العصر البيزنطى .

أما بالنسبة إلىالموضوعات الأسطورية فقد أخذت الأسطورة حيزآ كبيرآ من موضوعات الفسيفساء. وقد كانت مدينة أنطاكية ذات ثقافة إغريقية لذلك جاءت أغلب موضوعات اللوحات مستوحاة من تاريخ الإغريق وعقائدهم وأساطيرهم وآدابهم ، وبعض مشاهد الحياة اليومية . وتعددت الموضوعات الأسطورية التى صورت فى سورية وأنطاكية بصفة خاصة ، والتى تعكس روح العصر وثقافات الشعوب . كما ظهرت أنصاف الآلهة اللذين يستمدون قواهم من السماء وصور أبطالآ خارقين تتمثل فيهم مظاهر القوة عند الحيوان ، ومظاهر الجبروت عند الآلهة . وكان لكل مدينة الإله الحامى لها فكان الإله زيوس بوتيايوس الإله الحامى لمدينة أنطاكية والأسرة الحاكمة.

أما المناظر المستوحاه من الحياة اليومية ، فقد اهتمفنانوا لوحات الفسيفساء بالموضوعات المستوحاة من الحياة المحيطة بهم . فقد كانت مشاهد الحياة العامة تسيطر على الفن، فأصبحت الفسيفساء تعبر عن صورًا واقعية وذلك عن طريق الدمج بين الفن والموضوعات الحياتية، ولحسن الحظ قد بقى لنا عدد لا بأس به من مناظر الحياه اليومية .وقد ظهرت الموضوعات العديدة والمختلفة التى تعطينا صورة عامة عن الحياة اليومية فى سورية.واحتفظت الفسيفساء ببعض الأمثلة التى توضح الحرف التى انتشرت فى أنطاكية فى ذلك الوقت ، فقد تنوعت الحرف بين حرف بسيطة وتتعلق بالبيئة الريفية ، ثم حرف فنية ورياضية وهى اللوحات التى تصور عازفات الموسيقى ، والمسرح ، والشخصيات الرياضية .

أما بالنسبة إلى فسيفساء العصر الرومانى المتأخر ، فأخذت ملامح هذا الفن تتبلور تدريجيآ حتى اكتملت صورتها فى القرن الرابع م وحتى القرن السادس م. وقد لعبت الفسيفساء فى العصر الرومانى المتأخر - العصر البيزنطى - دوراً بارزاً في زخرفة المبانى الدينية والمدنية ، فأحتلت الفسيفساء مكانة أساسية في العبادة المسيحية بداية من القرنين الرابعوالخامسم . فقد استخدمت لتبليط الأرضيات في الكنائس بل وإكساء الجدران والقباب والحنيات، وقد بلغت فسيفساء الجدران والقباب فى الفن المسيحي ذروة إزدهارها. ويرجع هذا النجاح إلى إدراك المسؤولين عن بناء الكنائس لأهمية هذا الفن ، وللإمكانيات التي تقدمها هذه التقنية في نقل الرسالة الدينية إلى المؤمنين .حتى أصبحت في القرن الخامس م تشكّل عنصراً مهمّاً في زخرفة الكنائس، حيث أصبح فنّاً مفضّلاً في عمارة الكنائس الأولى ، حيث أنها كانت تزخرف أجزاء الحوائط العلوية أو القباب أو أنصاف القباب كما زخرفت بها أرضيات القصور كما ظهر موضوعات جديدة من اللوحات كانت تصور قصص الأنبياء من العهد القديم ، وكذلك موضوعات من العهد الجديد كتصوير السيد المسيح والسيدة العذراء. ويعتبر العصر البيزنطى هو العصر الذهبى للفسيفساء لأنهم أدخلوا فى صناعته مواد وخامات جديدة مثل الزجاج والمعادن وتعد الفسيفساء البيزنطية هى أقرب الفنون الصغرى إلى العمارة بل هى أهم مظاهر الفن البيزنطى بصفة عامة . ولم يقتصر دور الفسيفساء في العصر البيزنطي على أرضيات المبانى فقط وأنما أصبح يغطى الواجهات والجدران ، والسقوف وفق المواضيع الفنيّة أو المشاهد التصويرية سواء بشرية أو

حيوانية، أوهندسية ، أونباتية بشكل وحدات زخرفية رائعة ، وتعدّ الفسيفساء جزءاً من التخطيط العمرانى .

وأظهرت مدرسة أنطاكية أنواعآ مختلفة من الموضوعات المرسومة بالفسيفساء فقد أنتشرت فى القرن الخامس اللوحات التجسيدية للمعانى الإنسانية ، ولكن كان تصوير الموضوعات التجسيدية نادرآ على الفسيفساء كموضوع تصويرى ، وبالرغم من ذلك فقد وجدت رسوم لموضوع يعرف باسم عظمة النفس (Megalopsychia)، وهى صورة لإمرأة فى وسط مشهد الصيد وهو من الموضوعات الفلسفية و الفنية الهامة وكذلك تصوير الآراء المجردة على هيئة شخصيات مثل تصوير القوة و التجديد ، واللهو والحياة، وهى فكرة فلسفية إغريقية عرفها أرسطو بأنها هى الصفة التى تجعل المرء جديرآ بعظائم الأمور ، وقد عبرت هذه اللوحات عن روح العصر سواء كان هذا فى إطار دينى أم أسطورى أم حتى زخرفى .

وفي نهاية الأمر ، نستطيع القول أن لوحات الفسيفساء استطاعت فى سورية أن تنقل لنا صورة واضحة عن اسلوب الحياة فى العصر الرومانى ، بل وفي أنطاكية علي وجه الخصوص ، فنقلت لنا الحياة الدينية من خلال الأساطير و المعتقدات المختلفة ، إلى جانب تصوير مناظر الحياة اليومية من خلال تصوير الحرف المختلفة ، كما نقلت لنا لوحات الفسيفساء فى العصر الرومانى المتأخر والذى يطلق عليه العصر البيزنطى حيث ظهرت موضوعات مستحدثة على اللوحات الفسيفسائية مثل تصوير عظمة الروح ، وكذلك استخدام الرموز بكثرة وخاصة فى الفترة الأولى من العصر البيزنطى . وفيما يتعلق بالألوان وأسلوب توزيعها فى الفسيفساء فتتسم بالإعتدال وعدم المبالغة ، أى لا نجد فيها التضاد و الأنتقال العنيف فى الألوان .

إن ما احتفظت به الأيام من تراث وآثار قد بهر شعوب العالم الحديث وخاصة أهل العلم والمعرفة وعشاق الفنون بل والباحثين أنفسهم المتخصصين فى هذا الميدان لأنهم يجدون كثيرآ من الشواهد التى تثبت تأثير علم الأثار فى ميدان المعرفة والحكمة والعلوم الأساسية والإنسانية .